

أبو تمام 231-188 هـ من نفس طيء صليبة . مولده ومنشؤه منبج ، دقيق المعاني ، وقالوا القليل منه ، والسلوك في جميع طرقه . وله أشياء متوسطة ، وردية رذلة جدا . ثقافة الشاعر : أبو تمام شاعر واسع الثقافة ، والاحاطة بعلوم عصره ، 1-قراءته للشعر العربي الذي سبقه ، وحفظه ، وتأمل في معانيه ، ويروي ابن المعتز عن محمد بن قدامة أنه قال : ((دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه ، ثم رفع رأسه فنظر إلى وسلم علي ؛ فقلت له : يا أبا تمام إنك لتنظر في الكتب كثيرا وثمان الدرس فما أصبرك عليها ، فقال : والله ما لي إلف غيرها ولا لذة .)) 2- البيئة العباسية على المستوى الثقافي والمعرفي ، فقد عرفت نوعا من الامتزاج مع الثقافات الأخرى ، مثل الفلسفة الإسلامية ، والحركات اللغوية ، وكل هذه العلوم لعبت دورا بارزا في الشعر ، ووسعت معانيه ، وافاقه ، وأبو تمام صاحب مدرسة الشعراء المحدثين . وهي مدرسة تعنى بالصياغة اللفظية والبديعية ، اما على مستوى المحتوى ، وترك المعاني الوصفية الحسية ، والتشبيهات السهلة ، ونقد طريقة الشعراء السابقين في المقدمات الطللية ، وقد حققت تطورا كبيرا في الشعر العربي . وقد تكلم طه حسين عن الثقافات في العصر العباسي وأثرها على الأدب واستشهد بابي تمام كونه الشاعر الذي تمثل هذه الثقافات جميعها وهي ((الثقافة العربية الخالصة التي تعتمد على القرآن وما يتصل به من علوم الدين ، وعلى الشعر وما يتصل به من العلوم الأدبية كالنحو واللغة وغيرهما ، وثانيتهما : الثقافة اليونانية ، والواقع أن هذه الثقافة الثالثة ربما كان أصلح الأسماء لها أن أسميها شرقية ، فهي ليست فارسية خالصة ، ولا هندية ، ولا سامية ، وإنما هي خليط من التراث العقلي لهذه الأمم كلها ، متأثر بحركة الفتح اليوناني ، وتعمق اليونان في الدول الآسيوية الشرقية طوال هذه المدة بين فتوح الإسكندر وظهور الإسلام ، وتظهر في هذه الثقافة آثار لليونان ولكنها ضئيلة مختلطة ، وأثار للفرس والهنود ، ولكنها ضئيلة مختلطة أيضا)) ورأى أن قصيدته (السيف أصدق أنباء من الكتب) (تمثل تمثيلا صادقا هذه الثقافات الثلاث ، فيها العربية واضحة في لغتها ونظمها على هذا النحو من الوزن والقافية ، كما أنها واضحة حين يذكر الفتح ويحقق النسب بين فتح عمورية وواقعة بدر ، وعندما يذكر الخصومة بين الإسلام والمسيحية ، ثم تظهر الثقافة اليونانية عندما يذكر مدينة عمورية وقدمها وثباتها ، فنحن نجد في هذا الخيال هذا الخيال أثرا للحياة العربية وأثرا للطبيعة اليونانية ، وإن صح ما يروى من أن أصل أبي تمام أقرب إلى اليونانية منه إلى بني طيء .)) ولم يستحسن لدى النقاد ؛ لأنه كان يحمل تجديدا في بلاغة القصيدة ، ومعانيها ، يذكر الصولي خبرا طريف في ذلك ، يقول قرأ شعرا على ابن الاعرابي وهو لم يعرفه لأبي تمام : حتى تمت القصيدة ، فقال : اكتب لي هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنه هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ؟ قلت : إنها لأبي تمام فقال : خرق خرق ! وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام : (إن كان هذا شعرة فكلام العرب باط)) ، وفي الموشح سمعت دعبل بن علي يقول (لم يكن أبو تمام شاعرا ، إنما كان خطيبا) (السبب في بغض المحافظين لأبي تمام كان أبو تمام مبعضا إلى المحافظين ، وهنا نحتاج إلى أن نتيين السبب الفني الخاص الذي من أجله لم يكن أبو تمام محبا إلى الذين عاصروه من العلماء ومن الأدباء المحافظين ، وهذا وآخر غير الحسد والخصومة التي تنشأ عنه . المتقدمون متفقون على أن أبا تمام كان تلميذا في البديع لمسلم بن الوليد ، وأنه أسرف في هذا البديع إسرافا شديدا هو الذي جعل شعره بغضا إلى الأدباء وقاد اللغة . والواقع أن مسلما قد سبق أبا تمام إلى البديع ، والواقع أيضا أن مسلما لم يبتكر البديع ابتكارا ، وأن البديع لم يستحدث في العصر العباسي ، وإنما البديع فن قديم وجد منذ وجد الشعر ، ومنذ غني الشعراء بهذا الفن ، واتخذوه حرفة وصناعة . هذا النوع قديم تجدونه عند شاعر كهير وأوس بن حجر والحطيئة ، عند هؤلاء الشعراء الذين كان يسميهم الأصمعي « عبيد الشعر » ، والذين لم يكونوا يرسلون الشعر على سجيتهم وإنما كانوا يفكرون ويطيلون التفكير ، فكان أحدهم إذا أراد أن يأتي بفكرة ، أو يصور معني من المعاني لا يأتي به سهلا ولا يسيرا ، ولا يأتي به على أنه معني يتحدث به قلب إلى قلب ، أو عقل إلى عقل ، وإنما يأتي به في صورة نحسها باللمس أو بالعين أو بالأن ، ومن هذه الناحية كثر الشعر البديعي ، وكثر فيه التشبيه والاستعارة . ليس هذا الفن عباسيا وإنما هو قديم وجد مع الشعراء ، حتى لا تكاد تقرأ المسلم أو أصحابه بيتا أو بيتين إلا وجدت أمثلة من البديع ، وإن كان الشعر القداماء يتخذونه وسيلة إلى الجمال الفني قد أصبح غاية عند مسلم وأصحابه والشعراء أبدا منقسمون إلى قسمين : إلى هؤلاء الذين يتحدثون إلى النفس في سهولة ويسر لا يتكلفون ،